تفسير سورةُ الأنْبياءِ
من آية (76) إلى آية (80)
اللقاء السابع

المعنى الإجمالي من آية (71) إلى آية (75):

يقولُ اللهُ تعالى: ونجَّينا إبراهيمَ ولوطًا وأخرَجْناهما إلى الأرضِ التي بارَكْنا فيها للعالَمينَ، ووهَبْنا لإبراهيمَ ابنَه إسحاقَ وحفيدَه يَعقوبَ زِيادةً على ذلك، وكلٌّ مِن إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ جعَلَه اللهُ صالحًا مُطيعًا له، وجعَلْنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ قُدوةً للنَّاسِ يَدْعونَهم بأمْرِنا إلى عِبادة اللهِ وطاعتِه، وأوحَينا إليهم فِعْلَ الخيراتِ مِن العَمَلِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، فامتَثَلوا لذلك، وكانوا مُنقادينَ مُطيعينَ لله وَحْدَه دون مَن سِواه.

وآتَينا لُوطًا النبُوَّةَ وفَصْلَ القَضاءِ بين الخُصومِ، وعِلمًا عَظيمًا بأمرِ اللهِ ودينِه، ونجَّيناه مِن أهلِ القَريةِ الذين كانوا يعملونَ الخبائثَ؛ إنَّهم كانوا أهلَ سَوءٍ وقُبحٍ، خارجينَ عن طاعةِ الله. وأدخَلْناه في رحمتِنا بإنجائِه ممَّا حلَّ بقَومِه، وبإدخالِه الجنَّةَ في الآخِرةِ؛ لأنَّه كان من الطَّائعين الذين يَعمَلونَ بطاعةِ اللهِ.

إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وتربية وتقويم، يقود الخلقَ إلى الخالق، ويحذرهم سبل المفاسد والبوائق، والمتدبرون له هم الذين يستفيدون من هدايته وعظاته، فتدبرُ القرآن غاية من غايات إنزاله، قال -تعالى-: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)[ص: 29].

وإن من وسائل هداية القرآن: ذكرَ القصة عن الأفراد والجماعات والأمم، ومن ذلك: قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- مع أقوامهم المسلمين والكافرين، وقد تميزت القصة القرآنية بأنها قصة حقيقية لا مكذوبة، وأنها واقعية لا متخيلة، وأن المذكور منها هو جانب العظة والعبرة؛ ولذلك نجد القصة القرآنية لا تتسم بالحشو والتفصيلات التي لا حاجة إليها.

وينبغي أن نعلم أن القصص عن الأمم الماضية قد امتدت إليها أيدي أهل الكتاب الآثمة وغيرهم فحرفتها زيادة ونقصانًا، بل أضافت فيها أشياء لا تليق بأهل الإيمان، ومن ذلك ما زادوه فيما يتعلق بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وهذا ما يسمى في علوم القرآن بالإسرائيليات والموضوعات، وهي الأكاذيب والأقاصيص التي طرأت على القصص القرآني، وقد تولى كِبرَ ذلك اليهودُ عليهم غضب الله، وقد تسلل بعضٌ من تلك الخرافات المنسوجة إلى بعض كتب التفسير والتاريخ.

والواجب علينا الاعتمادُ في القصة القرآنية على ما جاء في القرآن الكريم، وصحيح السنة، وأما التفصيلات الزائدة على ذلك فإن أهل العلم ينظرون فيها إلى ما وافق القرآن والسنة فيحكمون بقبوله، وإلا فحسب المسلمين كتابُ الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

ويجب علينا كذلك أن نعتقد أن الأنبياء -عليهم السلام- معصومون من الدنايا ورذائل الأخلاق، وما يشين السلوكَ المستقيم، وعليه فكل حكاية أو قصة تخلُّ بمقام النبوة مما جاء عن بني إسرائيل وغيرهم يجب علينا ردُّها وتكذيبها.

سورة الأنبياء تقول لنا إنه لا تُوجدُ وظيفةٌ أشرفَ قدْرًا، وأسمَى منزلة، وأرحبَ أُفُقًا، وأثقَلَ تبِعَة، وأوثقَ عهدًا، وأعظمَ عند الله أجرًا من وظيفة عالِم الدين؛ لأنه وارِثٌ لمقام النبُوَّة، وآخِذٌ بأهمِّ تكاليفِها، وهي الدعوةُ إلى الله، وتوجيهُ خلقِه إليه، وتزكيتُهم وتعليمُهم، وترويضُهم على الحق حتى يفهَمُوه ويقبَلُوه، ثم يعمَلُوا به ويعمَلُوا له.

فلا يُوجَد قولٌ أحسنَ من قولِه، (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: 33]، ولا نزال نعيش في هذه السورة مع دعوة الأنبياء لأممهم نتعلم منهم أسمى وأشرف عمل وهو نفع الناس، ولا شكَّ أن أعظمَ النفعِ للناس هو نفعُهم في تصحيحِ مُعتقَدهم ودينِهم، وزيادةِ الإيمان لديهم، وتزكِيةُ أخلاقِهم وسُلُوكِهم، ومُحاربَة الباطل والشهوات التي تعترِضُهم.

"أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾﴿76﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: قال أبو حيان: لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى قِصَّةَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وهو أبو العَرَبِ، وتَنجِيَتَه مِن أعدائِه؛ ذكَرَ قِصَّةَ أبي العالَمِ الإنسيِّ كُلِّهم، وهو الأبُ الثَّاني بعدَ آدَمَ؛ لأنَّه ليس أحَدٌ إلَّا مِن نَسْلِه؛ مِن سام وحام ويافِث.

(وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ) أي: واذكُرْ -يا مُحمَّدُ- نوحًا حينَ دعا رَبَّه -مِن قَبلِ إبراهيمَ ولوطٍ- أن يَنصُرَه اللهُ على قَومِه الكافرينَ، وأن يُهلِكَهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء: 117- 118].

وقال سُبحانَه: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) [الصافات: 75].

وقال عزَّ وجلَّ: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) [القمر: 10].

وقال سُبحانَه: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح: 26].

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي: فاستجَبْنا لنوحٍ دُعاءَه، فأغرَقْنا قَومَه الكافرينَ، ونجَّيناه معَ أهلِه المؤمِنينَ مِن الغَمِّ الشَّديدِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (الكَربُ العَظيمُ: هو الطوفانُ. والكربُ: شِدَّةُ حُزنِ النَّفسِ بسَبَبِ خَوفٍ أو حُزنٍ. ووجهُ كَونِ الطوفانِ كَربًا عَظيمًا: أنَّه يَهولُ النَّاسَ عندَ ابتدائِه وعندَ مَدِّه، ولا يزال لاحِقًا

بمواقعِ هُروبِهم حتى يَعُمَّهم، فيَبقَوا زمنًا يذوقونَ آلامَ الخَوفِ، فالغَرقِ وهم يَغرَقونَ ويَطفُونَ حتى يموتوا بانحباسِ التنَفُّسِ، وفي ذلك كُلِّه كَربٌ مُتكَرِّرٌ؛ فلذلك وُصِفَ بالعَظيمِ).

قال ابن عثيمين رحمه الله:مِن الأدلةِ على وجودِ الله: الحِسُّ، ومِن ذلك ما يُشاهَدُ ويُسمَعُ مِن إجابةِ الدَّاعينَ، وغَوْثِ المكْروبينَ؛ ما يدلُّ دلالةً حِسِّيَّةً قاطعةً على وجودِه تعالى، ومِن ذلك قولُه تعالى: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ، وما زالتْ إجابةُ الدَّاعينَ أمرًا مشهودًا إلى يومِنا هذا لمَن صدَق اللُّجوءَ إلى الله تعالى، وأتَى بشرائطِ الإجابةِ.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾﴿77﴾

(وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي: ونجَّينا نوحًا وحمَيناه مِن قَومِه الذين كذَّبوا بحُجَجِنا الدَّالَّةِ على رِسالتِه، فلا ينالونَه بسوءٍ. موسوعة التفسير

(إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) أي: نصَرْنا نوحًا، وأهلَكْنا قَومَه؛ لأنَّهم كانوا قومًا يُسيئُونَ أعمالَهم بالشِّركِ والكُفرِ، وتَكذيبِ الرَّسولِ، ومَعصيةِ اللهِ، فأغرَقْناهم كُلَّهم؛ كبيرَهم وصَغيرَهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) [الأعراف: 64].

وقال سُبحانَه: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [الذاريات: 46].

ونحكي لكن قصة نوح -عليه السلام- الذي أرسله الله بعد آدم -عليه السلام-، ظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهرًا طويلاً واتخذوها آلهة يرجون منها الخير، ويستدفعون بها الشر، ويردون كل شيء في الحياة إليها، دعوها بمختلف الأسماء ومنها ود وسواع ويغوث ونسر (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) ، على حسب ما يملي عليهم الجهل ويزين لهم الهوى، فأرسل الله إليهم رسولاً منهم، وهو نوح -عليه السلام-، وكان رجلاً فصيح اللسان واضح البيان، رزقه الله الصبر والأناة، فأنذرهم بالعقاب فعموا وصموا، ورغبهم في الثواب فوضعوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا، ولكنه ناضلهم وجادلهم، ثم صابرهم وطاولهم، فمد لهم حبل أناته، راجيًا من الله أن يستجيبوا لدعوته، ويؤمنوا بالله -عز وجل-، ولم يدع اليأس يسلك سبيلاً إلى قلبه، وجاهد في إبلاغ رسالته حق الجهاد، دعاهم ليلاً ونهارًا، وإعلانًا وإسرارًا،(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح:5-7]،ومع كل ما بذل من جهود لم يؤمن به إلا القلة من قومه، استجابوا لدعوته وصدقوا رسالته، أما الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا به ولا برسالته، وكانوا من سادة القوم فتمالؤوا عليه، واستهزؤوا به، وسفهوا دعوته ورأيه.

قالوا: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)[هود:27] واحد منا، ولو أراد الله أن يبعث رسولاً لبعثه ملكًا وأجبنا دعوته، ثم إن الذين آمنوا بك هم الأراذل من القوم

وأقلهم، وتعالوا عليه فقالوا: أما نحن -أولي الفطنة والأحلام الراجحة- فلن نقتدي بك، ولو كان خيرًا ما سبقونا إليه.

ثم لجؤوا إلى الجدل وأمضوا في المراوغة وقالوا: ما نرى لك -يا نوح- ولصحبك علينا من فضل، لا في العقل ولا في رعاية المصالح ولا معرفة المعاد، بل نظنكم كاذبين، فأجابهم نوح مع حلمه بهم: (أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) وحجة شاهدة بصدق دعواي، وآتاني منه رحمة وفضلاً، فعمي عليكم القصد، واشتبه عليكم الأمر، فهل أستطيع لكم إلزامًا أو أملك لحملكم على الإيمان سلطانًا؟!

قالوا: يا نوح إن أردت لنا هداية وتوفيقًا وأردت لنا نصرًا وإعزازًا فاعمد إلى هؤلاء الذين آمنوا -وقد كانوا يحتقرونهم- وأبعدهم عنك، فإننا لا نستطيع أن نسير على أسلوبهم، فكيف يستوي الأشراف والسوقة -حسب زعمهم-، فقال لهم: إنها دعوة عامة شاملة لكم جميعًا، يستوي فيها الجميع، الأغنياء والفقراء، وهبوني أجبتكم إلى طلبكم وطردتهم، فمن الذي أعتمد عليه في نشر الدعوة وتأييد الرسالة؟! وكيف أطرد قومًا نصروني، ولقيت منكم الصدود والخذلان، ووصلت كلماتي إلى قرارة نفوسهم، وما صادفت منكم إلا الجحود والنكران، وكيف حالي معهم بين يدي الله إذا خاصموني وحاجوني وشكوا إلى الله أني قابلت إحسانهم بالجحود؟! ألا إنكم قوم تجهلون.

ولما اشتد بينهم وبينه الجدل سئموا منه، وضاقت صدورهم به وقالوا: (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)، فأنكر عليهم نوح، وقال: إنكم تسرفون في الجهل، ومن أنا حتى آتيكم بالعذاب أو أمنعه عنكم؟! ما أنا إلا بشر منكم (إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ)، فأبلغكم ما أمرت به، وأبشركم بالثواب مرة وأنذركم بالعذاب أخرى، إلا أن مرد كل شيء إلى الله، إن شاء هداكم وإن شاء أمهلكم وإن شاء عاقبكم.

وقد رزقه الله الصبر على أذاهم، كيف لا وهو من أولي العزم من الرسل، مكث في قومه يدعوهم إلى عبادة الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، صابرًا على استهزائهم، أملاً من الله أن يؤمنوا، ولكنهم ما ازدادوا إلا نفورًا من دعوته، ففزع إلى الله شاكيًا ملتجئًا مستعينًا مستهديًا في هؤلاء الذين عجزت حيلته فيهم، ويكاد الأمل ينقطع في إيمانهم، فأوحى الله إليه: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)، وعندما نفد صبره ويئس منهم دعا عليهم فقال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا).

فاستجاب الله دعاءه، وأوحى إليه: (وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)، فاتخذ مكانًا قاصيًا بعيدًا عن القوم، وأخذ يصنع السفينة وقومه يمرون به ساخرين مستهزئين، وقال بعضهم: إنك -يا نوح- كنت تزعم قبل اليوم أنك نبي ورسول، فكيف أصبحت اليوم نجارًا، أزهدت في النبوة، أم رغبت في النجارة؟! وقال آخرون: ما بال سفينتك تصنعها بعيدة من البحار والأنهار؟! أأعددت الثيران لتجرها، أم تظن أن الهواء يحملها؟! ولكنه

أعرض عن استهزائهم فقال: (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)[هود:38-39].

فلما اكتمل بناء السفينة أوحى الله إليه إذا جاء أمرنا وظهرت آياتنا فاعمد إلى سفينتك، وخذ من آمن من قومك وأهلك، واحمل معك من كل زوجين اثنين حتى يبلغ الله أمره.

قال تعالى: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) [القمر:10 - 14].

وتفتحت أبواب السماء بالماء، وتفجرت عيون الأرض، وبلغ السيل الزبى، ثم جاوز القيعان والربا، فهرع نوح إلى السفينة، وحمل ما أمره الله بحمله من الإنسان والحيوان والنبات، وسارت باسم الله مجراها ومرساها، سارت والأمواج تحيط بها وتطرح بين طياتها للكافرين قبورًا، ويغلبهم الموت، وأشرف نوح فوق ظهر السفينة فرأى ابنه كنعان، وكانت شقوة الله قد غلبت عليه فاعتزل أباه، ورغب عن دينه، رأى ابنه يصارع الأمواج، فدعاه إلى الركوب معهم في السفينة رحمة به وإشفاقًا عليه وحبًّا له، (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)[هود: 42]، ولكن الابن لم يستجب فقال: (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ)، فقال نوح -وقد غلبه الهم والوجد-: يا بني: إنه (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ)، ثم فصل بينهما الموج، فكان من المغرقين، ثم دعا الله وقال: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي)، وقد وعدت ووعدك حق أن تنجيني ومن آمن من أهلي، وأنت أحكم الحاكمين، فأوحى الله إليه: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).

وحينئذ أدرك نوح أن العطف أذهله عن الحق، وكان أولى به أن يشكر الله على أن نجاه من الغرق مع من آمن به، وأهلك الكافرين، عند ذلك التجأ نوح إلى الله مستغفرًا من ذنبه ومستعيذًا بالله من سخطه فقال: (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، وبعد أن أهلك الله أهل الكفر والعصيان من قومه بالطوفان والغرق كفّت السماء عن إنزال الماء، وابتلعت الأرض الماء، ورست السفينة على جبل الجودي، وقيل: بُعدًا للقوم الظالمين، وقيل لنوح: اهبط بسلام إلى الأرض أنت ومن آمن معك من قومك، تحفكم البركة، وتكلؤكم عناية الله.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾﴿78﴾

✉إن من القصص التي نُسجت حولها الأكاذيب، بل تغلغلت هذه الكذبات في عقول بعض الناس قصةَ نبي الله داود -عليه الصلاة والسلام- الذي أكرمه الله -تعالى- بكرامات متعددة، وسنتناول -بعون الله تعالى- قصة داود -عليه السلام- كما جاءت في القرآن وصحيح السنة.

✉لقد كان نبي الله داود -عليه السلام- شابًا من بني إسرائيل، وحينما خرج طالوت ببني إسرائيل إلى مواجهة جالوت وجنوده خرج داود في جند طالوت، فثبت مع الثابتين وبقي من الفئة القليلة التي واجهت جالوت وجنده، فلما تواجه الجمعان والتقى الفريقان أعان الله -تعالى- داودَ -عليه السلام- على قتل جالوت بيده.

✉فلمعَ نجمُ داود في بني إسرائيل وعرفوا قدره، فملّكوه عليهم بعد طالوت، وآتاه الله النبوةَ بعد ذلك، فجمع الله له بين النبوة والملك وبين خير الدنيا والآخرة، وقد كان المُلْك في بني إسرائيل في سبط، والنبوة في سبط آخر، فجمعهما الله -تعالى- لداود -عليه السلام-، قال -تعالى-: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[البقرة:251].

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾﴿78﴾

✉مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: قال الرازي: لَمَّا كان المقصودُ ذِكرَ نِعَمِ الله تعالى على داودَ وسُلَيمانَ عليهما السَّلامُ؛ ذكَرَ أوَّلًا النِّعمةَ المُشتَرَكةَ بيْنهما، ثمَّ ذكَرَ ما يختَصُّ به كُلُّ واحدٍ منهما مِنَ النِّعَمِ.

(وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ - خبَرَ داودَ وسُلَيمانَ حينَ يَحكُمانِ في شأنِ الزَّرعِ أو الغَرسِ الذي انتَشَرَت فيه غَنَمُ قَومٍ آخرينَ في اللَّيلِ، فَرَعَت في البُستانِ وأكَلَت ما في أشجارِه. موسوعة التفسير

(وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) أي: وكنا لحُكمِ داودَ وسُلَيمانَ والمُتحاكِمين إليهما عالِمينَ لا يخفَى علينا شيءٌ. موسوعة التفسير

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾﴿79﴾

(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) أي: ففهَّمْنا تلك القضيَّةَ سُلَيمانَ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (قضى فيه داودُ عليه السلامُ بأنَّ الغَنَمَ تكون لصاحِبِ الحرث؛ نظرًا إلى تفريطِ أصحابها، فعاقَبَهم بهذه العقوبةِ، وحكم فيها سُلَيمانُ بحُكمٍ مُوافِقٍ للصواب؛ بأنَّ أصحابَ الغَنَمِ يَدفَعونَ غَنَمَهم إلى صاحِبِ الحَرثِ فينتَفِعُ بدَرِّها وصوفِها، ويقومونَ على بستانِ صاحِبِ الحَرثِ حتى يعودَ إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حالِه ترادَّا ورجع كلٌّ منهما بما له، وكان هذا من كمالِ فَهمِه وفِطنتِه عليه السَّلامُ؛ ولهذا قال تعالى: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ أي: فهَّمْناه هذه القضيَّةَ، ولا يدُلُّ ذلك أنَّ داود لم يُفَهِّمْه اللهُ في غيرِها).

تحكي هاتان الآياتان خبر حادثة عدَتْ فيها غنمُ أحد الخصمين في الليل على زرع الخصم الآخر فاحتكما إلى داود -عليه السلام-، فكان حكم داود أن تدفع الغنم إلى صاحب الزرع؛ لسبب اقتضى عنده ترجيح ذلك، ولعل السبب أن ثمن تلك الغنم يساوي ثمن ما أتلفت من الحرث، فكان ذلك حكمًا عادلاً في تعويض ما أتلف، وأما حكم سليمان -عليه السلام- فكان أن رأى أن تدفع الغنم لأصحاب الحرث مدة عام كامل كي ينتفعوا من ألبانها وأصوافها ونسلها ويدفع الحرث إلى أصحاب الغنم؛ ليقوموا بإصلاحه، فإذا كمل الحرث ورجع إلى حالته الأولى عاد إلى كل فريق مالُه، فرجع داود إلى حكم سليمان ابنه؛ لأنه أرفق بالخصمين، وإن كان قضاء داود صحيحًا؛ إذ الأصل في الغرم أن يكون تعويضًا ناجزاً؛ ولذلك أثنى الله عليهما فقال: (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا).

وهناك قصة في قضاء داود -عليه السلام- قريبة من القصة السابقة لم تذكر في القرآن، وإنما ثبتت في السنة، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ - قال: " بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ، جَاءَ الذِّئْبُ ، فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتَاهُ ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا ، فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، هُوَ ابْنُهَا ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى ".

(وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) أي: وكلًّا مِن داودَ وسُلَيمانَ آتَينا نُبُوَّةً، وعِلمًا بدينِ اللهِ وأحكامِه.

موسوعة التفسير

قال الله تعالى: (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا).

قال الرازي: في هذا تنبيهٌ على أنَّ العِلمَ أفضَلُ الكَمالاتِ وأعظَمُها؛ وذلك لأنَّ الله تعالى قَدَّمَ ذِكرَه هاهنا على سائِرِ النِّعَمِ الجليلةِ، مِثلُ: تَسخيرِ الجِبالِ والطيرِ، والريحِ والجِنِّ، وإذا كان العِلمُ مُقَدَّمًا على أمثالِ هذه الأشياءِ، فما ظَنُّك بغَيرِها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد خَصَّ أحَدَ النبيَّينِ الكريمَينِ بالتَّفهيمِ مع ثنائِه على كُلٍّ منهما بأنَّه أُوتيَ عِلمًا وحُكمًا، فهكذا إذا خَصَّ اللهُ أحَدَ العالِمَينِ بعِلمِ أمرٍ وفَهِمَه لم يوجِبْ ذلك ذَمَّ مَن لم يحصُلْ له ذلك من العُلَماءِ، بل كلُّ مَنِ اتَّقى الله ما استطاعَ فهو مِن أولياءِ الله المتَّقينَ، وإن كان قد خَفِيَ عليه مِن الدِّينِ ما فَهِمَه غيرُه. فالعلماءُ المجتهدون؛ للمصيبِ منهم أجرانِ، وللآخَرِ أجرٌ واحدٌ، وكلٌّ منهم مطيعٌ لله بحسَبِ استطاعتِه؛ ولا يُكَلِّفُه اللهُ ما عجزَ عن عِلْمِه. (مجموع الفتاوى) لابن تيمية

(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَوَكُنَّا فَاعِلِينَ)

مناسبتُها لما قبلَها: قال أبو السعود: أنَّها شُروعٌ في بَيانِ ما يَختَصُّ بكلٍّ منهما مِن كَرامتِه تعالى، إثْرَ بَيانِ كَرامتِه العامَّةِ لهما

(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) أي: وذلَّلْنا مع داودَ الجِبالَ والطَّيرَ يُسَبِّحْنَ بمِثلِ تَسبيحِه إذا سَبَّحَ؛ مُعجِزةً له، وكنَّا فاعلينَ ذلك. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (التحقيقُ: أنَّ تَسبيحَ الجبالِ والطَّيرِ -مع داودَ- المذكورَ تسبيحٌ حَقيقيٌّ؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا يجعَلُ لها إدراكاتٍ تُسَبِّحُ بها، يعلَمُها هو جلَّ وعلا، ونحن لا نعلمُها، كما قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44]، وقال تعالى: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة: 74]). ((أضواء البيان)) (4/231، 232).

قال ابنُ كثير: (قولُه: وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ؛ وذلك لطِيبِ صَوتِه بتلاوةِ كتابِه الزَّبورِ، وكان إذا ترَنَّمَ به تقِفُ الطيرُ في الهواءِ، فتُجاوِبُه، وتَرُدُّ عليه الجِبالُ تأويبًا).

(وَكُنَّا فَاعِلِينَ) وقال البقاعي: (أي: مِن شأنِنا الفِعلُ لأمثالِ هذه الأفاعيلِ، ولكُلِّ شَيءٍ نريدُه بما لنا مِنَ العَظَمةِ المحيطةِ؛ فلا تَستَكثِروا علينا أمرًا وإن كان عندكم عَجَبًا).

قَولُه تعالى: (كُنَّا فَاعِلِينَ) في موضِعَينِ مِن كتابِه؛ أحَدُهما: قَولُه تعالى: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)، والثَّاني: قَولُه تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[الأنبياء: 104]، فتأمَّلْ قولَه: (كُنَّا فَاعِلِينَ) في هذَينِ المَوضِعَينِ، المتضَمِّنَ للصُّنعِ العَجيبِ الخارِجِ عن العادةِ: كيف تَجِدُه كالدَّليلِ على ما أخبَرَ به، وأنَّه لا يَستَعصي على الفاعِلِ حَقيقةً، أي: شَأنُنا الفِعلُ، كما لا يَخفى الجَهرُ والإسرارُ بالقَولِ على مَن شَأنُه العِلمُ والخِبرةُ، ولا تَصعُبُ المَغفِرةُ على مَن شَأنُه أن يَغفِرَ الذُّنوبَ، ولا الرِّزقُ على مَن شَأنُه أن يَرزُقَ العِبادَ -سُبحانَه وبِحَمدِه !الدرر السنية

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾﴿80﴾

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) أي: وعلَّمْنا داودَ كيفيَّةَ صِناعةِ الدُّروعِ لكم؛ لِتَقيَكم في القتالِ مِن سلاحِ أعدائِكم. موسوعة التفسير

قال السعدي: (علَّم الله داودَ عليه السَّلامُ صنعةَ الدُّروعِ، فهو أوَّلُ مَن صنَعَها وعُلِّمَها، وسَرَت صناعتُه إلى مَن بَعدَه، فألانَ اللهُ له الحديدَ، وعَلَّمَه كيف يَسرُدُها).

قال الرازي: في تَسخيرِ أكثَفِ الأجسامِ لدَاودَ وهو الحَجرُ؛ إذ أنطَقَهُ بالتَّسبيحِ، والحديدُ؛ إذ جعَلَ في أصابعِه قُوَّةَ النَّارِ حتَّى لانَ له الحديدُ، وعَمِلَ منه الزَّرَدَ (الدُّروعَ المَزرودةَ المُتداخِلةَ حَلَقاتُها بعضُها في بعضٍ)

في قَولِه تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ... قال ابن عثيمين: دَلالةٌ على أنَّ العَمَلَ والمهنةَ ليستا نَقصًا؛ لأنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ كانوا يُمارِسونَها.

كما قال تعالى: (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) [النحل: 81].

(فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) أي: فهل أنتم -أيُّها النَّاسُ- شاكِرو اللهِ على تيسيرِه لكم نِعمةَ الدُّروعِ.

موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: أمْرٌ وارِدٌ على صُورةِ الاستفهامِ؛ للمُبالَغةِ أو التَّقريعِ؛ فالاستفهامُ في قولِه: فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ مُستعمَلٌ في استبطاءِ عدَمِ الشُّكرِ، ومُكَنًّى به عن الأمْرِ بالشُّكرِ.

دليلٌ على أنَّ الاحترازاتِ ليست تَنقُصُ في التوكُّلِ؛ إذْ كان اللهُ جلَّ وتعالى قد جَعَلَ الدِّرعَ صيانةً في الحُروبِ، وجعَلَها في النِّعَمِ التي طالب بشُكرِها، وإذا كان ذلك كذلك، فالمكاسِبُ كلُّها، وإعدادُ الأقواتِ غيرُ مؤثِّرةٍ في الثِّقةِ بالخالِقِ؛ ولا مَعدودةٍ في عِدَادِ خوفِ فَواتِ الرِّزقِ. (النُّكَتُ الدالة على البيان)) للقَصَّاب.

إن نبي الله داود -عليه السلام- لم يُلهه ملكه وحكمه عن الإكثار من عبادة ربه -تبارك وتعالى-، فقد كانت روحُه المتألقة في سماء الطاعة تزداد رقيًا وصعوداً على أجنحة العبادة ومعارج الخلوة بربه -سبحانه وتعالى-، ولذلك كان ذا عبادة عظيمة، وتزلّف كثير؛ ولهذا أثنى عليه الله -تعالى- بكثرة التوبة والرجوع إليه، فقال -تعالى-: (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[ص:17].

وأثنى عليه رسول الله -ﷺ- بحسن الصيام والصلاة، وأخبر أن خير الصلاة النافلة في الليل صلاتُه، وخير الصيام المستحب صيامه، قال رسول الله -ﷺ-: " أحبُّ الصِّيامِ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ صيامُ داودَ علَيهِ السَّلامُ، كانَ يَصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، وأحبُّ الصَّلاةِ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ صلاةُ داودَ علَيهِ السَّلامُ، كانَ يَنامُ نصفَ اللَّيلِ، ويقومُ ثلُثَهُ، ويَنامُ سُدُسَهُ "(متفق عليه)

لقد جمع الله لنبيه داود -عليه السلام- خيري الدنيا والدين، فقد أنعم عليه بنعم كثيرة، قال -تعالى-: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا)[سبأ:10]، وذكر ذلك أيضًا ابنه سليمان -عليه السلام- في معرض التحدث بالنعمة والشكر لله عليها، كما قال -تعالى-: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)[النمل:15]، فمن تلك النعم:

أولاً: القوة العلمية، قال -تعالى-: (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)[البقرة:251]، وقال: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا)[النمل:15]، وهذا العلم يشمل العلم بدين الله، والعلم بتدبير أمر الملك، والعلمَ بمنطق الطير، والعلم بمعرفة تسبيح الجبال معه، والعلم بصناعة الدروع الحصينة الخفيفة على حاملها، قال -تعالى-: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)[سبأ:10]، وقال: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ)[ص:18]، (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ)[ص:19].

ثانيًا: القوة البدنية، وتشمل هذه القوة: القدرةَ العظيمة على صناعة الدروع فكان الحديد في يده كالعجين يتصرف فيه كما يشاء، قال -تعالى-: (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)[سبأ:10]، وتشمل كذلك: القوةَ العسكرية بقتله جالوت، والقوة على كثرة العبادة من صيام وصلاة وغيرها مع انشغاله بالملك.

ثالثًا: قوة الملك بتسخير الأسباب المادية والمعنوية؛ ليقوى ملكه من كثرة الجنود، وحسن السيرة، والعدل والفصل في الخصومات، قال -تعالى-: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ)[ص:20].

رابعاً: الإصابة في القول والفهم في القضاء، قال -تعالى-: (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[ص:20].

خامسًا: المنزلة العالية عند الله -تعالى-، قال -تعالى-: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)[ص:25].

سادسًا: البركة في الوقت وتيسير القراءة عليه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ-أنه قال: " خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ "(رواه البخاري)، والمراد بالقرآن هنا: التوراة أو الزبور.

سادسًا: حسن الصوت، فقد كان داود -عليه السلام- ذا صوت جميل، فكان إذا رجّع التسبيح والزبور بصوته الشجي رجّعت الجبال والطير مثل تسبيحه طربًا لصوته، قال -تعالى-: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)[الأنبياء:79]، وقال: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ)[ص:18]، (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ)[ص:19].

وفي الصحيحين عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-لأبي موسى: " لو رأيتُني و أنا أستمعُ قراءَتَك البارحةَ، لقد أُوتيتَ مِزمارًا من مزاميرِ آلِ داودَ".

لقد عاش نبي الله داود -عليه السلام- مائة سنة، كما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " لمَّا خلقَ اللَّهُ آدمَ ونفخَ فيهِ الرُّوحَ عَطسَ فقالَ: الحمدُ للَّهِ، فحمِدَ اللَّهَ بإذنِهِ، فقالَ لَهُ ربُّهُ يرحَمُكَ اللَّهُ يا آدمُ، اذهب إلى أولئِكَ الملائِكَةِ، إلى ملأ منهُم جلوسٍ فقل: السَّلامُ عليكُم قالوا: وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ، ثمَّ رجعَ إلى ربِّهِ، قالَ: إنَّ هذِهِ تحيَّتُكَ وتحيَّةُ بَنيكَ، بينَهُم، فقالَ اللَّهُ لَهُ ويداهُ مَقبوضتانِ: اختَر أيَّهما شئتَ، قالَ: اختَرتُ يمينَ ربِّي وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ مبارَكَةٌ ثمَّ بسطَها فإذا فيها آدمُ وذرِّيَّتُهُ، فقالَ: أي ربِّ، ما هؤلاءِ؟ فقالَ: هؤلاءِ ذرِّيَّتُكَ، فإذا كلُّ إنسانٍ مَكْتوبٌ عُمرُهُ بينَ عينيهِ، فإذا فيهم رجلٌ أضوَؤُهُم أو من أضوئِهم قالَ: يا ربِّ مَن هذا؟ قالَ: هذا ابنُكَ داودُ قد كتبتُ لَهُ عُمُرَ أربعينَ سنةً. قالَ: يا ربِّ زِدهُ في عمرِهِ. قالَ: ذاكَ الَّذي كتبَ لَهُ. قالَ: أي ربِّ، فإنِّي قَد جعَلتُ لَهُ من عُمُري ستِّينَ سنةً. قالَ: أنتَ وذاكَ. "(صحيح الترمذي).

وقد كانت قصة موته كما جاء عند الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: " كان داودُ النَّبيُّ فيه غَيْرَةٌ شَديدةٌ، وكان إذا خرجَ أُغلِقَتِ الأبوابُ، فلم يَدخُلْ على أهلِه أحَدٌ حتى يَرجِعَ، قال: فخرجَ ذاتَ يَومٍ، وأُغلِقتِ الدَّارُ، فأقبلَتِ امرأتُه تَطَّلِعُ إلى الدَّارِ، فإذا رَجُلٌ قائمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فقالتْ لِمَن في البَيتِ: مِن أين دخَلَ هذا الرَّجُلُ الدَّارَ، والدَّارُ مُغلَقةٌ، واللهِ لتُفتَضَحُنَّ بداودَ. فجاءَ داودُ، فإذا الرَّجُلُ قائمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فقال له داودُ: مَن أنتَ؟ قال: أنا الَّذي لا أهابُ المُلوكَ، ولا يَمتَنِعُ مِنِّي الحُجَّابُ. فقال داودُ: أنتَ واللهِ إذَنْ مَلَكُ المَوتِ، مَرحَبًا بأَمْرِ اللهِ "(رواه أحمد، قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي).